الفصل الخامس عشر

غـزوة خيبـر

لم يبد يهود خيبر عداء سافرا للمسلمين حتى لحق بهم زعماء بني النضير عندما أُجْلُوا عن المدينة. وكما سبق وأن ذكرنا فقد كان أبرز زعماء بني النضير الذين غادروا المدينة ونزلوا خيبر: سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها[1].

لقد نزلوها بأحقادهم ضد المسلمين، ولذا كانوا كلما وجدوا فرصة للانتقام من المسلمين انتهزوها، ووجدوا في قريش وبعض قبائل العرب حصان طروادة الذي سيدخلون به المدينة مرة أخرى، فألبوهم ضد المسلمين، ثم جروهم إلى غزوة الخندق[2]، وسعوا في إقناع بني قريظة للانضمام إليهم والغدر بالمسلمين[3]. ولذا كانت تلك العقوبة الرادعة التي أنزلها المسلمون بهم عندما صرف الله الأحزاب، وأرسل الرسول ﷺ سرية عبدالله بن عتيك للقضاء على رأس من رؤوسهم أفلت من العقاب يوم قريظة، وهو سلام ابن أبي الحقيق، فقتلوه.

وكانت هدنة الحديبية فرصة أمام المسلمين لتصفية هذا الجيب الذي يشكل خطورة على أمن المسلمين، وقد وعد الله المسلمين بمغانم كثيرة يأخذونها إذا هزموا يهود خيبر، وإلى ذلك أشارت سورة الفتح التي نزلت في طريق العودة من الحديبية ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم مافي قلوبهم، فأنزل الله السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا، ومغانم كثيرة يأخذونها، وكان الله عزيزاً حكيما، وعدكم الله مغانم كثيرة

---

(١) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/٢٦٩).
(٢) ابن إسحاق، بإسناد مرسل ـ ابن هشام (٣/٢٩٨ ـ ٢٩٩).
(٣) ابن إسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٣/٣٠٧ ـ ٣٠٩).

تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما، وأخرى لم تقدروا عليها، قد أحاط الله بها، وكان الله على كل شيء قديرا﴾[٤][٥].

تاريخ الغزوة:

ذكر ابن إسحاق[٦] أنها كانت في المحرم من السنة السابعة الهجرية، وذكر الواقدي[٧] أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[٨] إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك إنها في المحرم من السنة السادسة[٩]. وظاهر أن الخلاف بين ابن اسحاق والواقدي يسير، وهو نحو الشهرين، وكذلك فإن الخلاف بينهما وبين الإمامين الزهري ومالك مرجعه إلى الاختلاف في ابتداء السنة الهجرية الأولى كما سبق الإشارة إلى ذلك. وقد رجح ابن حجر[١٠] قول ابن إسحاق على قول الواقدي.

سار الجيش إلى خيبر بروح إيمانية عالية على الرغم من علمهم بمنعة حصون خيبر وشدة بأس رجالها وعتادهم الحربي. وكانوا يكبرون ويهللون بأصوات مرتفعة، فطلب منهم النبي ﷺ أن يرفقوا بأنفسهم قائلا: «إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم»[١١]. وسلكوا طريقا بين خيبر وغطفان ليحولوا بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر لأنهم كانوا أعداء للمسلمين[١٢].

---

(٤) الفتح: ١٨ - ٢١.

(٥) قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وعجل لكم هذه﴾ يعني فتح خيبر - انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٢). قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٤٠ - ٤١): وروى يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحاق في حديث المسور ومروان قالا: «انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خير بقوله: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه﴾ يعني خيبر». وقد اختلف المفسرون في تفسير المعنى بهذه الغنيمة، فقال العوفي عن ابن عباس إنها خيبر، وقاله غيره.

(٦) ابن هشام (٣/ ٤٥٥) - معلقا.

(٧) المغازي (٢/ ٦٣٤).

(٨) الطبقات (٢/ ١٠٦).

(٩) ابن عساكر: تاريخ دمشق (١/ ٣٣).

(١٠) الفتح (١٦/ ٤١).

(١١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٥٠/ ح ٤٢٠٥).

(١٢) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٢/ ٤٥٨).

ونزل المسلمون بساحة اليهود قبل بزوغ الفجر، وقد صلى المسلمون الفجر قرب خيبر، ثم هجموا عليها بعد بزوغ الشمس، وفوجىء أهلها بهم وهم في طريقهم إلى أعمالهم، فقالوا: «محمد والخميس!!» فقال الرسول ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[١٣]».

وهرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون. وقد حاولت غطفان نجدة حلفائهم يهود خيبر، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم فرجعوا، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر[١٤]، فأخذ المسلمون في افتتاح حصونهم واحدا تلو الآخر. وكان أول ما سقط من حصونهم ناعم والصعب بمنطقة النطاة وأبي النزار بمنطقة الشق، وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر، ثم حصن القموص المنيع في منطقة الكتيبة، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ثم اسقطوا حصني منطقة الوطيح والسلالم[١٥].

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم الذي استشهد تحته محمود بن مسلمة الأنصاري، حيث ألقى عليه مرحب رحى من أعلى الحصن[١٦]، والذي استغرق فتحه عشرة أيام[١٧]؛ فقد حمل راية المسلمين عند حصاره أبوبكر الصديق، ولم يفتح الله عليه، وعندما جهد الناس، قال رسول الله إنه سيدفع اللواء غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، فطابت نفوس المسلمين، فلما صلى الفجر في اليوم التالي دفع اللواء إلى

---

(١٣) البخاري/ الفتح (٣/٢٨٨/ح ٦١٠).
مسلم (٣/ ١٤٢٦ - ١٤٢٧/ح ١٣٦٥).

(١٤) ابن إسحاق - بلاغا - ابن هشام (٣/٤٥٨)، والواقدي (٢/ ٦٥٠).

(١٥) الواقدي (٢/ ٦٣٩) وابن إسحاق - بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ٤٦١ - ٦٢)، مع الاختلاف بينهما في تقديم وتأخير فتح حصن ما على الآخر.

(١٦) ابن إسحاق - بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ٤٦٤) وفيه استشهاده دون ذكر الكيفية، وابن إسحاق بإسناد معلق - ابن هشام (٣/٤٥٩) وفيه قتله بالرحى، ولم يذكر من ألقاها عليه، والواقدي (٢/ ٦٤٥) وفيه أن الذي ألقى الرحى عليه هو مرحب اليهودي.

(١٧) الواقدي (٢/ ٦٥٧).

علي، ففتح الله على يديه[١٨].

وكان علي يشتكي من رمد في عينيه عندما دعاه الرسول ﷺ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرئ[١٩].

ولقد أوصى الرسول ﷺ عليا بأن يدعو اليهود إلى الإسلام قبل أن يداهمهم، وقال له: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٢٠]. وعندما سأله عليّ: «يارسول الله على ماذا أقاتل الناس؟» قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٢١].

وعند حصار المسلمين لهذا الحصن برز لهم سيده وبطلهم مرحب، وكان سببا في استشهاد عامر بن الأكوع، ثم بارزه علي فقتله[٢٢]، مما أثر سلبيا في معنويات اليهود ومن ثم هزيمتهم.

وقد أبلى عليّ بلاء حسنا في هذه الحرب. ومن دلائل ذلك: روى ابن اسحاق[٢٣] من حديث أبي رافع ـ مولى رسول الله ﷺ ـ أن عليا عندما دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي بابا كان عند الحصن[٢٤] فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ.

---

(١٨) مسند أحمد (٥/٣٥٣)، ومستدرك الحاكم (٣/٣٧). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ومجمع الزوائد (٦/١٥٠) وصححه الهيثمي، وأصل الرواية عند مسلم (٤/١٨٧٢/ح ٢٤٠٥ ـ ٢٤٠٧) وليس فيها خبر حمل أبي بكر الراية. ووردت روايتان ضعيفتان تشير إحداهما إلى أن حامل الراية قبل علي هو عمر وليس أبابكر، وتشير الأخرى إلى أن أبابكر وعمر تعاقبا في اليومين الأولين على حمل الراية. والرواية في مسند أحمد (٥/٣٥٨) وكشف الأستار (٢/٣٣٨) ومدارها على ميمون البصري وهو ضعيف، والثانية عند ابن إسحاق ابن هشام (٣/٤٦٥ ـ ٦٦) وفي إسنادها بريدة ابن سفيان، وهو ضعيف والروايتان تعتضدان فتقويان بعضهما البعض.

(١٩) مسلم (٤/١٨٧٢/ح ٢٤٠٦). ورواه ابن إسحاق بإسناد ضعيف ولكنه يتقوى بالشواهد والمتابعات ـ ابن هشام (٣/٤٦٦) ـ انظر: كشف الأستار (٢/٣٣٨ ـ ٣٩) والحاكم (٣/٣٨ ـ ٣٩).

(٢٠) مسلم (٤/١٨٧١/ح ٢٤٠٤، ٢٤٠٥).

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٨٧٢/ح ١٤٠٥).

(٢٢) المصدر نفسه (٣/١٤٤٠/ح ١٨٠٧).

(٢٣) ابن هشام (٣/٤٦٧) بإسناد ضعيف لأن فيه راو لم يسمه ابن إسحاق.

(٢٤) نقل البيهقي في الدلائل (٤/٢١٢) رواية ابن إسحاق هذه. ويبدو بعض التحريف في نقله، إذ ذكر أن عليا تناول باب الحصن فترس به عن نفسه.

قال الراوي ـ أبورافع: فلقد رأيتني في نفر سبعة معي، أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.

وروى البيهقي[٢٥] من طريقين مرفوعين إلى جابر (رضي الله عنه) قصة علي والباب ويوم خيبر. ففي الطريق الأولى أن عليا (رضي الله عنه) حمل الباب حتى صعد عليه المسلمون فافتتحوها، ولم يستطع أربعون رجلا أن يحملوا هذا الباب[٢٦]. وفي الطريق الثانية أنه اجتمع عليه سبعون رجلا، فأعادوه إلى مكانه بعد أن أجهدهم[٢٧].

توجه المسلمون إلى حصن الصَّعْب بن مُعاذ بعد فتح حصن ناعم، وأبلى حامل رايتهم الحباب بن المنذر بلاءً حسنا حتى افتتحوه بعد ثلاثة أيام، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع، يوم كانوا في ضائقة من قلة الطعام، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وبقية ما فتح من حصون يهود ـ فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، فاضطروهم إلى النزول للقتال، فهزموهم بعد ثلاثة أيام، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النَّطَاة التي كان فيها أشد اليهود.

ثم توجهوا إلى حصون منطقة الشِّق، وبدأوا بحصن أُبَيّ، فاقتحموه، وأفلت بعض مقاتلته إلى حصن نزَار، وتوجه إليهم المسلمون فحاصروهم ثم افتتحوا الحصن، وفر بقية أهل الشق من حصونهم وتجمعوا في حصن القَمُوص المنيع وحصن الوَطِيح وحصن السُّلَالِم، فحاصرهم المسلمون لمدة أربعة عشر يوما حتى طلبو الصلح[٢٨].

---

(٢٥) دلائل النبوة (٤/٢١٢).

(٢٦) وهذا الطريق رجاله ثقات إلا الليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك. وقال البيهقي: الدلائل (٤/٢١٢): تابعه فضيل بن عبدالوهاب عن المطلب بن زياد.

(٢٧) وهذا الطريق ضعيف أيضا كما قال الشامي في السيرة (٥/٢٠١). وقال الشامي هنا: «رواه الحاكم».
قلت: إن هذه الطرق تعتضد فتتقوى وتدل على أن للقصة أصلا. والراجح عندي مضمون رواية ابن إسحاق لأنها أقرب إلى المعقول، أما الروايات الأخرى فلا مانع من قبولها في ضوء أن ماحدث يمكن تفسيره بأنه كرامة من كرامات علي (رضي الله عنه).

(٢٨) الواقدي (٢/٦٥٨ ـ ٦٧١).

وهكذا فتحت خيبر عنوة[٢٩]، إستنادا إلى النظر في مجريات الأحداث التي سقناها، وما روى البخاري[٣٠] ومسلم[٣١] وأبوداود[٣٢] من أن رسول الله ﷺ غزا خيبر وافتتحها عنوة.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فَدَك - شمالي خيبر- فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقبل ذلك منهم. فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[٣٣].

وقتل من اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعون رجلا[٣٤]. وسبيت النساء والذراري، منهن صفية بنت حيي بن أخطب، التي اشتراها الرسول ﷺ من دحية حيث وقعت في سهمه فأعتقها وتزوجها[٣٥]. وقد دخل عليها في طريق العودة إلى المدينة، وتطوع لحراسته في تلك الليلة أبو أيوب الأنصاري[٣٦].

واستشهد من المسلمين عشرون رجلا فيما ذكر ابن إسحاق[٣٧] وخمسة عشر فيما ذكر الواقدي[٣٨].

وممن استشهد من المسلمين راعي غنم أسود كان أجيرا لرجل من يهود. وخلاصة قصته أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم يرعاها لبعض يهود خيبر، فطلب من الرسول ﷺ أن يعرض عليه الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم، ثم استفتاه في أمر الغنم، فطلب منه

---

(٢٩) انظر مناقشة قول من قال إن بعضها فتح عنوة والبعض الآخر صلحا، وجزم ابن القيم في الزاد (٣/ ٣٥٢ - ٥٤) وابن عبدالبر في الدرر، ص ٢١٤ بأنها فتحت عنوة، وكذلك عوض الشهري في رسالته: مرويات خيبر، ص ص ١٩٧ - ١٩٩.

(٣٠) الفتح (٣/ ٣٢/ح ٣٧١).

(٣١) صحيحه (٣/ ١٤٢٧/ح ١٣٦٥).

(٣٢) السنن (٣/ ٤٠٨ - ٤١٠/ك. الخراج/ح ٣٠٠٩) بإسناد صحيح.

(٣٣) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/ ٤٩٠ - ٤٩١)، وأبوداود (٣/ ٤١٤/ك. الخراج/ ب. ماجاء في حكم أرض خيبر/ح ٣٠١٦) وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٤/ ٢٣٩): «هذا مرسل»، وأبويوسف في الخراج، ص ٥٠، وفي سنده الكلبي، وهو متروك.

(٣٤) الواقدي (٢/ ٧٠٠) وأسانيد الواقدي ضعيفة كما هو معلوم لأنه متروك في الحديث.

(٣٥) مسلم (٢/ ١٠٤٥ - ١٠٤٦/ح ١٣٦٥)، البخاري/ الفتح (١٥/ ٥٩ - ٦٠/ح ٤٢١١) وعنده أنه اصطفاها لنفسه.

(٣٦) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣٧) ابن هشام (٣/ ٤٧٨) - معلقا.

(٣٨) المغازي (٢/ ٧٠٠).

الرسول ﷺ أن يضرب وجوهها، فسترجع إلى أصحابها، فأخذ الراعي حفنة من الحصى فرمى بها في وجوهها، فرجعت إلى أصحابها، وتقدم ليقاتل فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، فجيء به إلى رسول الله ﷺ فسجي بشملة، فالتفت إليه الرسول ﷺ ثم أعرض عنه، وعندما سئل عن إعراضه قال: «إن معه الآن زوجتيه من الحور العين»[٣٩].

واستشهد أعرابي له قصة دلت على وجود نماذج فريدة من المجاهدين. وخلاصة قصته أنه جاء إلى النبي ﷺ فأسلم، وطلب أن يهاجر مع الرسول ﷺ. فلما كانت غزوة خيبر ـ وقيل حنين ـ غنم رسول الله وأخرج له سهمه، وكان غائبا حين القسمة، ويرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوا إليه سهمه، فأخذه وجاء به إلى النبي ﷺ وقال: «ماهذا يامحمد»، قال النبي ﷺ «قسم قسمته لك». قال: «ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأدخل الجنة»، قال: «إن تصدق الله يصدقك»، ولم يلبث قليلا حتى جيء به وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال الرسول ﷺ: «صدق الله فصدقه»، فكفنه الرسول ﷺ في جبة للنبي ﷺ ودفنه[٤٠].

وبعد الفراغ من هذه الغزوة حاول اليهود قتل الرسول ﷺ بالسم. فقد أهدته امرأة منهم شاة مشوية مسمومة، وأكثرت السم في ذراع الشاة عندما عرفت أنه يحبه، فلما أكل من الذراع أخبرته الذراع أنه مسموم فلفظ اللقمة، واستجوب المرأة، فاعترفت بجريمتها، فلم يعاقبها[٤١] في حينها، ولكنه قتلها عندما مات بِشْر بن البَراء بن مَعْرور من أثر السم الذي ابتلعه مع الطعام

---

(٣٩) رواه ابن إسحاق بلاغا ـ ابن هشام (٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٦) من غير طريق ابن إسحاق وصححه ولم يقره الذهبي لأن في إسناده شرحبيل بن سعد، وهو متهم، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) من طريق موسى بن عقبة، مرسلا، ومن حديث عروة، مرسلا، وهذا يدل على أن للقصة أصلا.

(٤٠) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٢٧٦) بإسناد صحيح.

(٤١) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٦١/ح ٣١٦٩).
ومسلم (٤/ ١٧٢١/ح ٢١٩٠).

عندما أكل مع الرسول ﷺ[٤٢].

وتم الصلح في النهاية بين الطرفين وفق الأمور الآتية:

ـ بالنسبة للأراضي والنخيل ـ أي الأموال الثابتة: دفعها لهم الرسول ﷺ على أن يعملوا عليها ولهم شطر ما يخرج منها[٤٣].

ـ أن ينفقوا من أموالهم على خدمة الأرض[٤٤].

ـ أما بالنسبة لوضعهم القانوني فقد تم الاتفاق على أن بقاءهم بخيبر مرهون بمشيئة المسلمين، فمتى شاؤوا أخرجوهم منها.

وقد أخرجهم عمر بن الخطاب إلى تيماء وأريحاء[٤٥]، إستنادا إلى قول الرسول ﷺ في مرض موته: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[٤٦] وتكرر منهم الاعتداء على المسلمين. ففي المرة الأولى اتهمهم الرسول ﷺ في قتل عبدالله بن سهل، فأنكروا فلم يعاقبهم، فوداه رسول الله ﷺ من عنده[٤٧]. وفي هذه المرة الثانية التي أكدت الأولى ـ كما أشار عمر ـ انهم اعتدوا على عبدالله بن عمر، وفدعوا يديه[٤٨].

ـ واتفقوا على إيفاد مبعوث من قبل النبي ﷺ إلى أهل خيبر ليخرص

---

(٤٢) الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢٠)...
وعبدالرزاق في المصنف بإسناده إلى أبي بن كعب كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٨١)، والواقدي (٢/ ٦٧٩) والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٦٤) وقد ذكر جميع الروايات في الموضوع. وانظر تعليق المحقق على القضية، خاصة ما كشفه الدكتور منير العجلاني ـ رئيس تحرير المجلة العربية، من أن تسميم الرسول ﷺ كان بقرار من اليهود وذلك استنادا إلى ما جاء في وثيقة أرمنية قديمة تعرض لها العجلاني بالدراسة في المجلة العربية ـ السنة الثالثة ـ العدد الثالث. والذي يبدو أن اثبات هذه الوثيقة فيه نظر، إذ لو ثبت ذلك لترتب عليه حكم فقهي تبعا لكونهم جميعا اشتركوا في قتله.

(٤٣) من رواية البخاري/ الفتح (١٦/ ٨٠ ـ ٨١/ح ٤٢٤٨) ومسلم (٣/ ١١٨٦ ـ ١١٨٧/ح ١٥٥١).

(٤٤) مسلم (٣/ ١١٨٧/ح ١٥٥١) وغيره.

(٤٥) مسلم (٣/ ١١٨٨/ح ١٥٥١)، البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٣٩/ح ٣١٥٢).

(٤٦) ابن سعد (٢/ ٢٤٢) بإسناد صحيح، ورواه ابن إسحاق موقوفا عن الزهري ـ ابن هشام (٣/ ٤٩٥) ولفظة: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» ورواه مرسلا عن عبيدالله بن عبدالله ابن عتبة من حديث الزهري ـ ابن هشام (٣/ ٤٩٠)، ورواه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٥) بإسناد صحيح، وعبدالرزاق في مصنفه (٦/ ٢٥٧) بإسنادين الأول متصل عن عائشة والثاني موقوف عن ابن جريج.

(٤٧) رواه البخاري/ الفتح (٢٢/ ٣٤٠/ح ٦١٤٢، ٦١٤٣)، ومسلم (٣/ ١٢٩١ ـ ١٢٩٥/ح ١٦٦٩)، ورواه غيرهما، واكتفينا بهما على سبيل الاختصار.

(٤٨) أحمد: المسند (١/ ٩٠/ح ٩٠/شاكر) بإسناد صحيح، وابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ٤٩٥).

ويقبض حصة المسلمين[٤٩].

أما بالنسبة للأموال المنقولة، فقد صالحوه على أن له الذهب والفضة والسلاح والدروع، ولهم ما حملت ركائبهم على ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا، فإن فعلوه فلا ذمة لهم ولا عهد. فغيبوا مسكا لحيي بن أخطب، وقد كان قتل قبل غزوة خيبر، وكان قد احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت. وعندما سأل الرسول ﷺ سعية ـ عم حيي ـ عن المسك، قال: «أذهبته الحروب والنفقات»، فقال النبي ﷺ: «العهد قريب والمال أكثر من ذلك»، فدفعه النبي ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، فاعترف بأنه رأى حيبا يطوف في خربة هاهنا، فوجدوا المسك فيها، فقتل لذلك ابني أبي الحقيق، وسبى نساءهم وذراريهم، وقتل محمد بن مسلمة ابن عم كنانة هذا الذي دل على المال، قتله بأخيه محمود بن مسلمة[٥٠].

وبالنسبة للطعام فقد كان الرجل يأخذ حاجته منه دون أن يقسم بين المسلمين أو يخرج منه الخمس مادام قليلاً[٥١] وكانت غنائم خيبر خاصة بمن شهد الحديبية من المسلمين، كما في قوله تعالى ﴿سيقول المخلَّفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نَتَّبِعْكم، يريدون أن يبدلوا كلام الله. قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل، فسيقولون بل تحسدوننا، بل كانوا لايفقهون إلا قليلا﴾[٥٢][٥٣].

ولم يغب عن فتح خيبر من أصحاب بيعة الرضوان أحد سوى جابر بن

---

(٤٩) من حديث ابن عمر عند أحمد في المسند (٧/ ٧/ شاكر) بإسناد صحيح، ومن حديث جابر في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ١٢٥) بإسناد صحيح، والسنن لأبي داود (٣/ ٦٩٧/ ك. البيوع/ ب. المساقاة) بإسناد حسن، والبيهقي في السنن (٩/ ١٣٧ ـ ١٣٨) وابن حبان في صحيحة كما في موارد الظمآن (٤١٢ ـ ٤١٣) كلاهما بإسناد واحد صحيح، وابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ٤٩١ ـ ٤٩٢).

(٥٠) رواه أبوداود في سننه (٣/ ٤٠٨/ ك. الخراج/ ب. ماجاء في حكم أرض خيبر/ ح ٣٠٠٦) بإسناد صحيح.

(٥١) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٤١/ ح ٣١٥٣)، مسلم (٣/ ١٣٩٣/ ح ١٧٧٢)، أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٢٥)، أبوداود (٣/ ١٥١/ ك. الجهاد/ ب. النهي عن النهبى إذا كان في الطعام قلة في أرض العدو، الحاكم (٢/ ١٣٤)، الواقدي (٢/ ٦٦٤) وغيرهم.

(٥٢) الفتح: ١٥.

(٥٣) انظر تفسيرها عند الطبري (٢٦/ ٥٠).

عبدالله، ومع ذلك أعطي سهما مثل من حضر الغزوة ـ غزوة الحديبية[٥٤].

وأعطى أهل السفينة من مهاجرة الحبشة الذين عادوا منها إلى المدينة، ووصلوا خيبر بعد الفتح، أعطاهم من الغنائم. وكانوا ثلاثة وخمسين رجلا وامرأة بقيادة جعفر بن أبي طالب. وتقول الرواية إنه لم يقسم لأحد لم يشهد الفتح سواهم[٥٥]. وهم الذين فرح الرسول ﷺ بقدومهم، وقبل جعفر بين عينيه والتزمه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أو بقدوم جعفر»[٥٦].

وربما يرجع سبب استثنائهم إلى أنهم حبسهم العذر عن شهود بيعة الحديبية، ولعله استرضى أصحاب الحق من الغانمين في الإسهام لهم، ولعله رأى ما كانوا عليه من الصدق وما عانوه في الغربة، وهم أصحاب الهجرتين[٥٧].

وأعطى الرسول ﷺ أبا هريرة وبعض الدوسيين من الغنائم برضاء الغانمين، حيث قدموا عليه بعد فتح خيبر[٥٨].

وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء مسلمات فأعطاهن من الفيء ولم يضرب لهن بسهم[٥٩].

---

(٥٤) ابن إسحاق ـ معلقا ـ ابن هشام (٣/ ٤٨٦)، وذكر البخاري معلقا أن الرسول ﷺ أعطى جابر ابن عبدالله من تمر خيبر (الفتح ١٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨/ ك. فرض الخمس/ ب. ومن الدليل على ان الخمس لنوائب المسلمين...) وقال ابن حجر ص ٢١٩ عن هذا الخبر المعلق: «... فهو من حديث أخرجه أبوداود، وظهر من سياقة أن حديث جابر الذي ترجم به المصنف للباب طرف منه»، وانظر: سنن أبي داود (٣/ ٤١١ ـ ٤١٢/ ك. الخراج/ح ٣٠١١، ٣٠١٢).

(٥٥) البخاري/ الفتح (١٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣/ح ٣١٣٦)، مسلم (٤/ ١٩٤٦/ح ٢٥٠٢). ويحمل هذا القول على أنه أعطاهم دون استرضاء الغانمين، إذ روى أنه أعطى سواهم ولكن برضاء الغانمين. فقد أعطى أبا هريرة وبعض الدوسيين الذين قدموا بعد خيبر، ولم يشتركوا في القتال ـ انظر ابن شبة: تاريخ المدينة (١/ ١٨٧)، وابن حجر: الفتح (١٦/ ٧١).

(٥٦) سنن أبي داود (٥/ ٣٩٢/ ك السنة/ ب. في قبلة ما بين عينيه/ح ٥٢٢٠) وهو من مرسل الشعبي، وقد جاء مسندا من طرق عن جابر كما عند الحاكم في المستدرك (٣/ ٢١١) وقد صححه الحاكم وقال الذهبي إنه مرسل، وعن طريق غير جابر كما في المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٠٧)، وكلها طرق لا تسلم من ضعف. وذكر الشيخ الألباني طرق هذا الحديث وشواهده ومال إلى تحسينه ـ انظر: تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي، ص ٣٦٧.

(٥٧) د. العمري: المجتمع المدني ـ تنظيماته...، ص ١٧٤، وعوض الشهري: مرويات غزوة خيبر ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ الجامعة الإسلامية المدينة، ص ١٨١. وعن فضل أصحاب الهجرتين، انظر: مسلم (٤/ ١٩٦٤/ح ١٦٩٠).

(٥٨) عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٢٧٦).

(٥٩) رواه ابن إسحاق معلقا ابن هشام (٣/ ٤٨٧٦)، ورواه الأوزاعي كما في صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٠٦) وقال الألباني: صحيح الإسناد مقطوع. أما مسلم (٣/ ١٤٤٤ ـ ١٤٤٥/ح ٨١٢) وغيره فقد رووا أنه كان يعطي النساء اللائي يغزون معه، ولم يقيدوه بغزوة خيبر.

وكـذلك أعطى من شهدها من العبيد، فقد أعطى عميرا، مولى أبي اللحم، شيئا من الأثاث[٦٠].

وأوصى ﷺ من مال خيبر لنفر من الداريين، سماهم ابن إسحاق[٦١].

وكان كفار قريش يتحسسون أخبار الرسول ﷺ مع يهود خيبر، ويسألون الركبان عن نتيجة المعركة، وقد فرحوا عندما خدعهم الحجاج بن عِلاَط السُّلَمِي وقـال لهم إن المسلمين قد هزموا شر هزيمة وإن اليهود أسرت محمداً، وستأتي به ليقتل بين ظهراني أهل مكة ثأرا لمن كان أصيب من رجالهم، وما لبثوا قليلا حتى علموا بأن الأمر خدعة من الحجاج بن علاط ليحـرز مالـه الذي بمكة ويهاجر مسلما. فحزنوا لتلك النتيجة التي كانوا يراهنون على عكسها[٦٢].

وبعـد الفـراغ من أمر خيبر توجه رسول الله ﷺ نحو وادي القرى، وحاصرهم، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه أبودجانة فقتله، حتى قتـل منهم أحد عشر رجلا، ثم قاتلهم حتى أمسوا، وفي الصباح استسلمـوا، ففتحت عنـوة. وأقام فيها ثلاثة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود، وعاملهم عليها.

فلما بلغ يهود تيماء ما حدث لأهل فدك ووادي القرى، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم. فلما كان عهد عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام،

---

(٦٠) من رواية أبي داود في سننه (٣/ ٧٥/ ك. الجهاد/ ب. في العبد والمرأة يحذيان من الغنيمة/ح ٢٧٣٠). ورواه الترمذي: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ١٠٦ ك. السير/ح ١٦١٦) ورمز إلى أنه في صحيح أبي داود ـ له ـ برقم)٢٤٤، ونقله ابن كثير في تاريخه (٤/ ٢٢٨). وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٢٣) وابن ماجه في الجهاد/ح ٢٨٥٥، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٣١) وصححه.

(٦١) ابن هشام (٣/ ٤٩١) ـ معلقا ـ أي دون إسناد.

(٦٢) رواه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٤٦٦ ـ ٤٦٩) بإسناد صحيح، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٨) من طريق عبدالرزاق بإسناد صحيح، وابن حبان في موارد الظمآن ص ٤١٣، والبزار في كشف الأستار (٢/ ٣٤١)، وغيرهم.

ويرى أن مادون وادي القرى إلى المدينة حجاز، وأن ما وراء ذلك من الشام[٦٣].

وثبت في الصحيح أن مدعما ـ مولى رسول الله ﷺ ـ أصابه سهم فقتله، وذلك حين كان يحط رحل رسول الله ﷺ عندما وصلوا وادي القرى. فقال الناس: «هنيئا له بالجنة»، فقال رسول الله ﷺ «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا». فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو بشراكين، فقال: «هذا شيء كنت أصبته»، فقال رسول الله ﷺ: شراك أو شراكان من نار»[٦٤].

بعض فقه وحكم وعبر ودروس غزوة خيبر:

١ ـ نهى رسول الله ﷺ عن الغلول، وأن من يموت وهو غالّ يدخل النار. وقد جاء ذلك في خبر الرجل الذي قال عنه الصحابة إنه شهيد، فقال لهم الرسول ﷺ: «كلا! إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة...»[٦٥] وخبر مدعم مع الشملة...

٢ ـ نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية[٦٦].

٣ ـ نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم البغال[٦٧].

٤ ـ النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع وعن أكل كل ذي مخلب من الطير[٦٨].

---

(٦٣) الواقدي (٢/ ٧٠٩ ـ ٧١١) بإسناده إلى أبي هريرة.

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٧١ ـ ٧٢/ح ٤٢٣٤)، مسلم (١/ ١٠٨/ح ١١٥).

(٦٥) مسلم (١/ ١٠٧ ـ ١٠٨/ح ١١٤، ١١٥).

(٦٦) البخاري/ الفتح (٢١/ ٦٨/ح ٥٥٢٣ ـ ٥٥٢٩)، مسلم (٢/ ١٠٢٧ ـ ١٠٢٨/ح ١٤٠٧).

(٦٧) مسند أحمد (٣/ ٣٦٥/ طبعة المكتب الإسلامي) بإسناد رجاله ثقات غير أن فيه عنعنة أبي الزبير، وهو مدلس، ولكن يشهد له ما أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٥٣/ أبواب الصيد/ ب. في كراهية كل ذي ناب وذي مخلب). ولفظه: عن جابر قال: «حرم رسول الله ﷺ يعني يوم خيبر الحمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير».

(٦٨) سنن أبي داود (٤/ ١٦٠/ ك. الأطعمة/ ب. النهي عن أكل السباع/ح ٣٨٠٢، ٣٨٠٣، ٣٨٠٥، ٣٨٠٦) من حديث ابن عباس. سنن ابن ماجه (٢/ ١٠٧٧/ ك. الصيد/ ب تحريم كل ذي ناب من السباع)، مسلم (٣/ ١٥٣٤/ح ١٩٣٢، ١٩٣٣، ١٩٣٤)، من حديث ابن عباس ولكن دون التقييد بمكان معين. وهو يعضد حديث ابن ماجه وأبي داود، فيكون الحديث حسنا.

٥ ـ النهي عن وطء الحبالى من السبايا حتى يضعن[٦٩].

٦ ـ النهي عن ركوب الجلالة[٧٠] والنهي عن أكل لحمها[٧١] وشرب لبنها[*].

٧ ـ النهي عن النهبة من الغنيمة قبل قسمتها[٧٢].

٨ ـ وأجرى الله على نبيه بعض المعجزات دليلا على نبوته وعبرة لمن يعتبر، فإضافة إلى ما ذكرنا من قصة بصقه على عيني علي فصحتا، وإخبار ذراع الشاة المسمومة إياه بأنها مسمومة، فقد ثبت أنه نفث ثلاث نفثات في موضع ضربة أصابت ركبة سلمة بن الأكوع يوم خيبر، فما اشتكى بعدها[٧٣].

٩ ـ وفي خبر الإسهام لأهل السفينة أنه إذا لحق مدد بالجيش بعد انقضاء الحرب، فلا سهم لهم إلا بإذن الجيش ورضاه[٧٤].

١٠ ـ جواز المساقاة والمزارعة بجزء مما يخرج من الأرض من تمر أو زرع، كما عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر على ذلك، وهو من باب المشاركة، وهو نظير المضاربة، فمن أباح المضاربة، وحرم ذلك، فقد فرق بين متماثلين[٧٥].

١١ ـ عدم اشتراط كون البذر من رب الأرض، لأن الرسول ﷺ دفع إليهم الأرض على أن يعملوها من مالهم.

١٢ ـ خرص الثمار على رؤوس النخيل وقسمتها كذلك، وأن القسمة ليست بيعا، والاكتفاء بخارص واحد وقاسم واحد.

١٣ ـ جواز عقد المهادنة عقدا جائزا للإمام فسخه متى شاء.

١٤ ـ جواز تعليق عقد الصلح والأمان بالشرط، كما عقد لهم رسول الله ﷺ بشرط ألا يغيبوا ولا يكتموا، كما في قصة مسك حيي.

١٥ ـ الأخذ في الأحكام بالقرائن والإمارات كما قال النبي ﷺ لكنانة: «المال

---

(٦٩) رواه ابن الجارود في المنتقى/ ك. النكاح/ ص ٢٤٤، بإسناد صحيح.

(٧٠) الجلالة: حيوان يأكل العَذِرَة، [وهي الغائط]، من الإبل والغنم والدجاج وغيرها حتى يتغير ريحها.

(٧١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٦١/ ك. الأطعمة/ ب. في أكل لحوم الحمر الأهلية/ح ٣٨٠٦) بإسناد حسن. ورواه غيره [مثل أحمد والنسائي]. * رواه الخمسة: إلا ابن ماجه، وصححه الترمذي. قال سيد سابق في فقه السنة (٣/ ٢٨٥): «فإن حبست بعيدة عن العذرة زمنا وعلفت طاهرا فطاب لحمها وذهب اسم الجلالة عنها حلت لأن علة النهي التغيير، وقد زالت».

(٧٢) أحمد: المسند (٤/ ٣٤٨) بإسناد صحيح، وأخرجه غيره.

(٧٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ٥٠/ح ٤٢٠٦).

(٧٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٤٢).

(٧٥) المرجع نفسه ص ٣٤٥.

كثير والعهد قريب»، فاستدل بذلك على كذبه في قوله: «أذهبته الحروب والنفقة».

١٦ - جواز إجلاء أهل الذمة من دار الإسلام إذا استغنى عنهم، وقد أجلاهم عمر (رضي الله عنه) بعد موت النبي ﷺ.

١٧ - لم يكن عدم أخذ الجزية من يهود خيبر لأنهم ليسوا أهل ذمة، بل لأنها لم تكن نزل فرضها بعد(٧٦).

١٨ - سريان نقض العهد في حق النساء والذرية، وجعل حكم الساكت والمقر حكم الناقض والمحارب كما في حالة كنانة وابني ابن الحقيق، على أن يكون الناقضون طائفة لهم شوكة ومنعة، أما إذا كان الناقض واحداً من طائفة لم يوافقه بقيتهم، فهذا لا يسرى النقض إلى زوجته وأولاده(٧٧).

١٩ - جواز عتق الرجل أمته، وجعل عتقها صداقها، ويجعلها زوجته بغير إذنها ولا شهود ولا ولي غيره، ولا لفظ نكاح ولا تزويج، كما فعل ﷺ بصفية.

٢٠ - جواز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير، إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين والمشركين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب.

٢١ - إن من قتل غيره بسم يقتل مثله قصاصا، كما قُتلت اليهودية ببشر بن البراء.

٢٢ - جواز الأكل من ذبائح أهل الكتاب وحل طعامهم وقبول هديتهم، كما في حادثة الشاة المسمومة.

٢٣ - الإمام مخير في الأرض التي تفتح عنوة إن شاء قسمها وإن شاء وقفها وإن شاء قسم البعض ووقف البعض الآخر، وقد فعل رسول الله ﷺ الأنواع الثلاثة، فقسم قريظة والنضير، ولم يقسم مكة، وقسم شطرا من خيبر وترك شطرها الآخر(٧٨).

---

(٧٦) المرجع نفسه (٣/٣٤٨).
(٧٧) زاد المعاد (٣/٣٤٨ - ٣٤٩).
(٧٨) انظر الشهري: مرويات غزوة خيبر، ص ١٩٨، ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٣٢٩).

الفصل السادس عشر

رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والزعماء

تمهيد:

أتيحت الفرصة للرسول ﷺ بعد صلح الحديبية لتوسيع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، لأن الإسلام رسالة عالمية غير محدودة المكان، كما جاء التصريح بذلك في بعض الآيات القرآنية الكريمة، مثل:

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾[1]، و﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾[2]، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[3].

ولذا كان من البدهي أن يقوم الرسول ﷺ بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم المعاصرين له.

هناك اضطراب في الروايات التي تناولت تواريخ إرسال الرسائل. فقد روى ابن سعد[4] أن الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتابا، فخرج ستة نفر في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع.

ويذكر الطبري[5] أن بعث هؤلاء النفر الست كان في ذي الحجة. وهي من رواية الواقدي. وواضح من نص خبر الواقدي عند ابن سعد أن رجوع النبي ﷺ من الحديبية كان في ذي الحجة، وأن إرسال النفر الستة كان في

---

(١) سبأ: ٢٨.
(٢) الأعراف: ١٥٨.
(٣) الأنبياء: ١٠٧.
(٤) الطبقات (١/٢٥٨) من طريق شيخه الواقدي وبأسانيده.
(٥) التاريخ (٢/٦٤٤) من رواية الواقدي.

المحرم من العام السابع، فيكون الوهم في النقل من قبل الطبري. أما ابن اسحاق[٦] فلا يحدد تاريخا دقيقا لإرسال الرسل، بل جعل ذلك ما بين الحديبية ووفاته، قال في رواية: «كان رسول الله ﷺ قد فرق رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله (عز وجل) فيما بين الحديبية ووفاته». واستدرك عليه ابن هشام[٧] في زيادات السيرة قائلا بأن إرساله الرسل كان بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية.

ويؤرخ ابن سعد[٨] لرسالة كسرى قبل ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادي الأولى سنة سبع، التي قتل فيها كسرى. وذكر البخاري[٩] رسالة كسرى في أعقاب غزوة تبوك في العام التاسع الهجري، لكن من الواضح أن البخاري لم يراع عنصر الزمن في سرد محتويات «صحيحه»، لأنه يجمع ما يقع على شرطه من البعوث والسرايا والوفود ولو تباينت تواريخهم، وقد نبه ابن حجر إلى احتمال تصرف بعض رواة صحيح البخاري في تقديم وتأخير بعض التراجم، مثل تقديم حجة الوداع على غزوة تبوك[١٠].

إن الدراسة التفصيلية لتلك الرسائل تجعل النفس تميل إلى قبول ما ذكره ابن إسحاق[١١].

المبحث الأول: كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي:

صح أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي[١٢]: «تعال إلى كلمة سواء بيننا وبينك أن لا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون». فآمن ومن كان عنده، وأرسل

---

(٦) ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٦٤٥) بإسناد ضعيف.
(٧) السيرة (٣/ ٣٣٨) وذلك ضمن خبر رواه بلاغا، ورواه ابن عساكر والديلمي في مسنده كما في كنز العمال (١٠/ ٦٣٤ - ٦٣٥)، والطبراني كما في المجمع (٥/ ٣٠٥ - ٣٠٦) وفيه محمد بن إسماعيل ابن عياش، وهو ضعيف.
(٨) الطبقات (١/ ٢٦٠).
(٩) الفتح (١٦/ ٢٥٧/ح ٤٤٢٤).
(١٠) انظر: الفتح (١٦/ ٢٣٧). و (١٦/ ٢٠٤ - ٢٠٥/ح ٤٣٦٣).
(١١) انظر عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، ص ٥٩ - ٦٠.
(١٢) مسلم (٣/ ١٣٩٧/ح ١٧٧٤).

إلى رسول الله ﷺ بهدية حلة، فقال رسول الله ﷺ «اتركوه ما تركتكم»[١٣].

وكان الذي حمل الرسالة إلى النجاشي، عمرو بن أمية الضمري[١٤].

وذكر الزيلعي[١٥] وغيره عن الواقدي أن الذي كتبه النبي ﷺ إلى النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري صورته:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة عن طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله (عز وجل)، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى».

وذكر أبو موسى المديني في التتمة لكتاب ابن منده في الصحابة، بإسناد معلق، أن النجاشي كتب مع ولده كتابا جوابا لكتاب النبي ﷺ وأورد نصه، وفيه إقراره بالإسلام، وإن شاء الرسول ﷺ أن يأتيه بالمدينة المنورة لأتاه، وأنه بعث إليه بابنه أَرها بن الأصْحَم، وأن ابنه خرج في ستين نفسا من الحبشة فغرقت بهم سفينتهم في البحر[١٦].

وقد ثبت أن الرسول ﷺ صلى صلاة الغائب عندما أخبره جبريل بوفاة

---

(١٣) رواه أبوداود: السنن (٤/ ٤٩٠/ ك. الملاحم/ ب. النهي عن تهيج الحبشة/ح ٤٣٠٩) بلفظ: «أتركوا الحبشة ماتركوكم» الحاكم (٤/ ٤٥٣) من حديث عبدالله بن عمر، وأحمد في المسند بهذا اللفظ من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن رجل من الصحابة، ورواه أبوداود أيضا (٤/ ٤٨٥/ الكتاب والباب نفساهما/ح ٤٣٠٢)، والنسائي (٦/ ٤٤/ ك. الجهاد/ ب. غزوة الترك والحبشة) حديث أبي سكينة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ بلفظ: «دعوا الحبشة مادعوكم واتركوا الترك ما تركوكم»، وهو حديث حسن. وانظر: «جامع الأصول لابن الأثير (٩/ ٢٢٣)، و (١١/ ٢٩٦).

(١٤) انظر: أسد الغابة (٤/ ١٩٣ - ١٩٤)، وابن هشام (٤/ ٣٣٨) بلاغا، وابن سعد (٢/ ٢٥٨) من رواية الواقدي.

(١٥) نصب الراية لأحاديث الهداية (٤/ ٤٢١)، وانظر: إعلام السائلين لابن طولون، ص ص ٥٠ - ٥١.

(١٦) قاله ابن طولون، ص ٥٠، وانظر نص الرسالة عنده، وذكر نصها الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٤٢١) والطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٣) معلقا، وابن سيد الناس في العيون (٢/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

النجاشي، وذلك في العام التاسع الهجري[١٧].

المبحث الثاني: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى:

روى البخاري[١٨] بسنده إلى ابن عباس: «بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن حُذَافَة السَّهْمِي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين[١٩]، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى. فلما قرأه مزقه، قال الراوي - الزهري: فحسبت أن ابن المسيب قال: «فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق».

وكتب كسرى إلى بَاذَان عامله باليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانه[٢٠] ورجلا آخر، وكتب معهما كتابا، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، وقال: «ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد». فجاءاه من الغد، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه كسرى في هذه الليلة»، لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وأن الله تبارك وتعالى سلط عليه ابنه شيرويه، فقتله، فرجعا إلى باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء[٢١] الذين باليمن[٢٢].

ويذكر أن كسرى المعني هو إبرْوِيز بن هُرْمز[٢٣]، ويؤكد بتلر[٢٤] أن موت

---

(١٧) انظر المبحث الخاص بإسلام النجاشي.

(١٨) الفتح (١٦/ ٢٥٦ - ٢٥٧/ ح ٤٤٢٤).

(١٩) هو المنذر بن ساوى كما ذكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية (٣/ ٣٤١) وابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٥٧).

(٢٠) اسمه «بابويه»، وهو الكاتب الحاسب، واسم الرجل الآخر: خر خسرة كما في رواية الطبري في تاريخه (٢/ ٦٥٥).

(٢١) اصطلاح يطلق على الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن في تلك الفترة.

(٢٢) ابن سعد (١/ ٢٦٠) من رواية شيخه الواقدي، ورواها مطولا الطبري في تاريخ (٢/ ٦٥٥ - ٦٥٧) عن طريق ابن إسحاق من رواية شيخه يزيد بن أبي حبيب المصري مرسلا، وفيه زيادات، مثل اسمي رسولي باذان وأوصافهما وحوار الرسول ﷺ معهما. أما تاريخ قتل شيرويه لأبيه كسرى فقد عزاه الطبري إلى الواقدي.

(٢٣) الزرقاني: (٣/ ٣٤١).

(٢٤) فتح مصر، ص ص ١٣٨ - ١٥٣.

كسرى إبَرويز حدث في مارس عام ٦٢٨م، مما يجعل وصول الرسالة قبل موته بشهور توكيدا لرواية الواقدي.

وروى الطبري[٢٥] نص رسالة النبي ﷺ إلى كسرى، وكذلك رواها ابن طولون[٢٦]، وغيرهما، وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت، فإن إثم المجوس عليك».

المبحث الثالث: كتاب النبي ﷺ إلى قيصر:

ثبت في الصحيحين[٢٧] أن الرسول ﷺ قد كتب إلى هرقل مع دحية بن خليفة الكلبي يدعوه إلى الإسلام. وذلك في مدة هدنة الحديبية، وهو النص الثاني الذي ثبتت صحته وفق شروط المحدثين من بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى الزعماء، ونصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[٢٨]. ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[٢٩].

---

(٢٥) التاريخ (٢/ ٦٥٤ - ٦٥٥) من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل، وأبوعبيد في الأموال ص٢٥٣ مرسلاً، وبذلك يكون الحديث حسنا كما ذكرالألباني في حاشيته على فقه السيرة للغزالي، ص٣٨٨.

(٢٦) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ص ص ٦١ - ٦٢.

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٢/ ٦٩ - ٧٢/ح ٢٩٤٠، ٢٩٤١)، مسلم (٣/ ١٣٩٣ - ١٣٩٧/ح ١٧٧٣) وكلاهما من حديث أبي سفيان الطويل في صفة النبي ﷺ.

(٢٨) اختلفوا في المراد بهم على أقوال: أصحها وأشهرها أنهم الأكارون، أي الفلاحون.... انظر: الفتح (١٧/ ٨٠ - ٨١/ح ٤٥٥٣).

(٢٩) آل عمران: ٦٤.

ولعل في إيراد البخاري ومسلم لنص خطاب الرسول ﷺ إلى قيصر ما يشير إلى ترجيحهما للروايات القائلة بتقدم نزول الآية المذكورة، أي قبل تاريخ إرسال هذه الرسالة، وليس في العام التاسع كما ورد في روايات ضعيفة[٣٠].

وعندما قرأ قيصر رسالة النبي ﷺ أرسل يبحث عن بعض المتصلين بالنبي ﷺ، وفضل أن يكونوا من قومه وعشيرته، فعلم بوجود جماعة من التجار فيهم أبوسفيان، فدعاهم لمجلسه مع الترجمان، فقال: «أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟» فقال أبوسفيان: «أنا أقربهم نسبا»، فأدناه منه وقرب أصحابه منه لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب، فأخذ يسأله عن جميع أحوال النبي ﷺ كما في الحديث الطويل المشهور، حديث هرقل مع أبي سفيان، المروي في الصحيحين، واستنتج من أجوبة أبي سفيان أن محمدا ﷺ نبي، وقال في ختام كلامه مع أبي سفيان: «فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه».

ثم قال للرسول (دحية الكلبي): «إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، والذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته»، ثم صرفه إلى ضغاطر، الأسقف صاحب الفتوى عندهم بحجة أنه أعلم الروم بهذا الشأن.

وروى ابن حبان[٣١] أن دحية عندما جاء وافى قيصر ببيت المقدس، فرمى بالكتاب على بساطه وتنحى، فلما انتهى قيصر من الكتاب، أخذه، وأمن من جاء به فظهر له دحية، فطلب من دحية أن يأتيه في عاصمته، فلما

---

(٣٠) انظر د. العمري: المجتمع المدني - تنظيماته، ص ص ١٥٢ - ١٥٣، د. عون الشريف قاسم: دبلوماسية محمد ﷺ، ص ص ٦١ - ٦٢.

(٣١) صححه - موارد الظمآن/ح ١٦٢٨)، بإسناد صحيح كما قال محقق الزاد (١/ ١٢١/ طبعة مؤسسة الرسالة. ورواه أيضا أبوعبيد في الأموال ص ٢٥٥ بإسناد صحيح، لكنه مرسل، ونقل الزرقاني في شرح المواهب (٣/ ٢٤٠) عن «الفتح» أنه في مسند أحمد ايضا، ولم يذكر صحابيه. انظر تعليق الألباني على فقه السيرة للغزالي، ص ٣٨٦.

جاءه، أمر بأبواب قصره فغلقت، ثم أمر مناديا ينادي: ألا إن قيصر قد اتبع محمدا وترك النصرانية، فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا به، فقال لرسول رسول الله ﷺ: «قد ترى أني خائف على مملكتي»، ثم أمر مناديه فنادى: «ألا إن قيصر قد رضي عنكم وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم، فارجعوا»، فانصرفوا، وكتب إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ: «كذب عدو الله، وهو على دين النصرانية»، وقسم الدنانير.

وفي عدم إسلام قيصر دليل على أنه قد شح بالملك وطلب الرئاسة وآثرهما على الإسلام، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي، فإنه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة[٣٢].

المبحث الرابع: كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شُمَّر الغساني:

روى الواقدي[٣٣] أن رسول الله ﷺ كتب كتابا إلى الحارث بن أبي شمر الغساني[٣٤]، مع شُجَاع بن وَهْب، وأورد نصه. وقد امتعض الحارث ولم يوافق على الإسلام وحشد قواته للزحف على المدينة، ولكن هرقل تدخل ودعاه إلى إيلياء ـ بيت المقدس.

وقد بعث رسول الله ﷺ شجاعا إليه حين مرجعه من الحديبية، ومن خلال رواية شجاع في قصته معه يظهر أنه كتب إليه في نفس الوقت الذي كتب فيه إلى هرقل مع دحية، لأن شجاعا عندما جاء إلى الحارث وجد دحية مع القيصر في إيلياء[٣٥].

---

(٣٢) النووي بشرح مسلم (١٢/١٠٧/ ك. الجهاد/ ب. كتب النبي ﷺ.

(٣٣) نقله عنه الطبري في تاريخه (٢/٦٥٢) والقصة عند أهل السير. وأسانيدهم ضعيفة.

(٣٤) من أمراء غسان في أطراف الشام، وكانت إقامته بغوطة دمشق.

(٣٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٦١)، عيون الأثر في فنون المغازي والسير لابن سيد الناس (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، وإعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٤، المواهب اللدنية للزرقاني (٣/٣٥٦).
قلت: ونص الرسالة عند الطبري في تاريخه (٢/٦٥٢) من رواية الواقدي، ولم نقف عليها في مغازي الواقدي، وبقية القصة دون ذكر الرسالة عند ابن سعد (١/٢٦١). وابن سيد الناس (٢/ ٢٧٠ ـ ٧١) ـ وهي من رواية الواقدي وفيها نص الرسالة. وذكر ابن هشام أنه بعث شجاع ابن وهب إلى الحارث بن أبي شمر ـ ابن هشام (٤/٣٣٩). وإسناده ضعيف. ولم يرد عند غيره بإسناد يحتج به.

وتقول رواية شجاع: إن حاجب الحارث ـ وهو رومي اسمه مرى ـ أسلم عندما أخبره شجاع بالرسول ﷺ والإسلام.

المبحث الخامس: كتاب النبي ﷺ إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفي صاحب اليمامة:

كتب إليه مع سليط بن عمرو العامري، أحد النفر الستة الذين تحركوا في وقت واحد حين مقدم الرسول ﷺ من الحديبية، وعندما قرأ هوذة الرسالة اشترط على النبي ﷺ أن يجعل له بعض الأمر معه، فلم يقبل الرسول ﷺ بذلك، ومات حين منصرف الرسول ﷺ من فتح مكة(٣٦).

المبحث السادس: كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس:

بعث الرسول ﷺ كتابه إلى المقوقس ـ جُرَيج بن مِينَا ـ ملك الإسكندرية وعظيم القبط، مع حاطب بن أبي بلتعة، فقال خيرا وقارب الأمر ولم يسلم، وأهدى إلى النبي ﷺ مارية وأختها سِيرين وقَيسرَى، فتسرى مارية القبطية، وهي أم ولده إبراهيم، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، فهي أم ولده عبدالرحمن، وأهداه ألف مثقال ذهب، وبغلة، اسمها دلدل، وجارية أخرى سوداء اسمها بَرِيرَة، وغلاما خصيا اسمه مَأبُور، وحمارا أشهب يقال له يَعْفُور وفرسا هو اللزاز، وعسلا وأشياء أخرى.

وعندما جاءت رسالة المقوقس إلى الرسول ﷺ قال: «ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه»(٣٧).

---

(٣٦) انظر الخبر عند: ابن سعد (١/ ٢٦٢) وعنده نص خطاب هوذة، وليس عنده نص خطاب الرسول ﷺ إليه، عيون الأثر (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، نصب الراية للزيلعي (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، نصب الراية للزيلعي (٤/ ٤٢٥)، إعلام السائلين، ص ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٣٧) انظر: ابن سعد (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١) من رواية الواقدي، وفيه قول الرسول ﷺ: «ضن الخبيث بملكه...»، وابن هشام (١/ ٢٤٧) بإسناده إلى ابن لهيعة، مختصر جدا بخصوص إهداء المقوقس مارية القبطية للنبي ﷺ، ويقويه حديث البزار الآتي ذكره، وابن حجر في الإصابة (١/ ٣٠٠) ـ ترجمة حاطب... وقال ابن حجر في خبر إرسال حاطب إلى المقوقس: «أخرجه ابن شاهين من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده (قلت: وفي إسناد ابن شاهين سليمان ابن أرقم وهو متروك)، وابن حجر في الإصابة (٣/ ٣٣٥) ترجمة مأبور، وقد أورد ابن حجر أحاديث تتقوى بالشواهد والمتابعات تفيد بأن النبي ﷺ قد ارتاب في مارية وعلاقتها بمأبور فبرأ الله حرم النبي ﷺ من الريبة، وبشره بولد منها.

==

المبحث السابع: كتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن سَاوَى العَبْدِي:

روى ابن سيد الناس[٣٨] أن النبي ﷺ كتب إلى المنذر بن ساوى العبدي، أمير البحرين، مع أبي العلاء الحضرمي، بعد انصرافه من غزوة الحديبية، ثم قال: ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة، قال: «وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس، بعد موته، فنسخته، فإذا فيه...».

وخلاصة ما ذكره ابن سيد الناس عن كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر ردا على كتابه الأول إليه أن المنذر قبل الإسلام ومعه آخرون من أهل البحرين، ولم يورد نص رسالة الرسول ﷺ الأولى إلى المنذر.

==

ومن الشواهد التي ساقها ابن حجر ما رواه مسلم (٤/ ٢١٣٩/ح ٢٧٧١) من حديث أنس أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعلي: «اذهب فاضرب عنقه». فأتاه علي فإذا هو في ركي (بئر) يتبرد فيها. فقال له علي: «اخرج». فناوله يده فأخرجه فاذا هو مجبوب ليس له ذكر. فكف علي عنه. ثم أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، إنه لمجبوب. ماله ذكر.

وليس في حديث مسلم تسمية للرجل، وسماه ابن أبي خيثمة كما في الإصابة (٣/ ٣٣٥). وروى ابن عبدالحكم القصة بمثل مضمون رواية مسلم كما في الإصابة (٣/ ٣٥٥) وفيها أن الذي أراد قتل قريب مارية هو عمر بن الخطاب، وقد وفق ابن حجر بين الروايتين.

وقال ابن حجر في الإصابة (٤/ ٤٠٥) ـ ترجمة مارية: «وأخرج البزار بسند حسن عن عبدالله بن بريدة عن أبيه، قال: أهدى أمير القبط إلى رسول الله ﷺ جاريتين وبغلة، فكان يركب البغلة بالمدينة واتخذ إحدى الجاريتين لنفسه، وقال الهيثمي في المجمع عن هذا الخبر: «رجال البزار رجال الصحيح». وأخرج ابن كثير في البداية (٥/ ٣٤٠) من رواية أبي بكر بن خزيمة بإسناد فيه محمد ابن زياد، وهو صدوق يخطىء، وبشير بن المهاجر وهو صدوق لين الحديث، وبقية رجاله ثقات، ويقويه حديث البزار، ولفظه: «أهدى أمير القبط إلى رسول الله ﷺ جاريتين أختين، وبغلة، فكان يركب البغلة بالمدينة واتخذ إحدى الجاريتين فولدت له إبراهيم ابنه، ووهب الأخرى».

وقد خطأ البزار شيخه محمد بن زياد في هذا الحديث، فقال بعد أن رواه: «وهم ابن زياد في هذا، فرواه عن ابن عيينة، وابن عيينة ليس عنده بشير بن المهاجر، ولكن رواه عن بشير بن حاتم بن إسماعيل ودهم بن دهشم». قلت: فإن صحت رواية ابن عيينة عن بشير ودهم، فالخبر صحيح، والله أعلم.

وانظر: نصب الراية (٤/ ٤٢٤)، وإعلام السائلين لابن طولون، ص ص ٧٧ ـ ٨١. وفيه الرسائل المتبادلة بين المقوقس والرسول ﷺ.

وانظر: دراسة الدكتور عون الشريف قاسم لهذه الرسائل في مؤلفه، دبلوماسية محمد ﷺ، ص ص ٨٠ ـ ٨٦ (تحليل الرسائل) و ص ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨ (نصوص الرسائل ومصادرها). وأشار في ص ص ٨١ ـ ٨٥ إلى الجدل الذي أثير حول اكتشاف المستشرق الفرنسي بارتيلمي مخطوطة الرسالة التي بعثها الرسول ﷺ إلى المقوقس سنة ١٨٥٠م، واقتنع بارتيلمي بأن المخطوط صحيح....

وانظر: فتوح مصر لابن عبدالحكم، ص ٤٦، وفيه أقدم نص لرسالة النبي ﷺ إلى المقوقس، والمواهب اللدنية للقسطلاني (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) وفيه نص الرسالة.

(٣٨) عيون الأثر (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) وانظر نص الرسائل عنده وعند ابن طولون، ص ص ٥٦ ـ ٥٧، والزيلعي: نصب الراية (١٤/ ٤٢٠) وصبح الأعشى (٦/ ٣٦٨)، والكامل لابن الأثير (٢/ ٢١٥)، وعند ابن سعد في الطبقات طرف منها (١/ ٢٦٣)، وتخالف روايته رواية ابن سيد الناس من حيث التاريخ لأن ابن سعد يذكر أنها في العام الثامن، مسيره من الجعرانة.

وهناك روايات أخرى تشير إلى رسالة الرسول ﷺ الأولى إلى المنذر، ولكنها في رجب سنة تسع هجرية، منصرفه من تبوك[٣٩].

المبحث الثامن: كتاب النبي ﷺ إلى جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدَى:

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان بكتابة إلى جيفر وعبد ابني الجلندى الأزديين بعُمان، فأسلما، وصدقا، وخليا بين عمرو بن العاص والصدقة، وترك أمر الحكم لهما[٣٩].

المبحث التاسع: رسائل أخرى متفرقة:

٩ ـ وكتب النبي ﷺ كتابا إلى أهل دَمَا، وهي قرية من قرى عُمان، وكان عليها رجل من أساورة كسرى، يقال له بستجان. وروى الكتاب ابن طولون[٤١] بسنده إلى أبي شداد، رجل من أهل دما، ونصه:

«من محمد رسول الله الى أهل عمان، سلام، أما بعد: فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدوا الزكاة، وخطوا المساجد، كذا وكذا، وإلا غزوتكم».

١٠ ـ وكتب رسول الله ﷺ إلى رَعِيَّة السُّحَيمي، فأخذ الكتاب ورقع به دلوه، فبعث إليه الرسول ﷺ سرية فأخذت ماله وأهله. فجاء المدينة نادما، فبايع على الإسلام، وأحرز أهله[٤٢].

١١ ـ وكتب إلى مسيلمة الكذاب ـ زعيم اليمامة ـ يدعوه إلى الإسلام مع

---

(٣٩) أورد نصها ابن طولون، ص ٥٨ من رواية الواقدي التي ذكرها الزيلعي في آخر كتاب: تخريج أحاديث الهداية (٤/ ٤١٩ ـ ٤٢٠)، وفيها ما أسنده الواقدي عن عكرمة بنحو ما تقدم عن ابن سيد الناس، وذكرالقلقشندي (٦/ ٣٧٦) نص رسالة النبي ﷺ إلى المنذر والتي أوردها أبوعبيد في الأموال، كتاب الفيء ووجوهه، باب الجزية، ص ٢٨.

(٤٠) عيون الأثر (٢/ ٢٦٧)، المواهب اللدنية (٣/ ٣٥٢)، نصب الراية (٤/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤)، إعلام السائلين، ص ص ٩٢ ـ ٩٦.

(٤١) إعلام السائلين، ص ص ٩٧ ـ ٩٨، وابن الأثير (٥/ ٢٢٥). وقيل إن دما مدينة تذكر مع دبا كانت من أسواق العرب المشهورة ـ معجم البلدان: (٢/ ٤٦١) وقد أشار إلى هذه الرسالة.

(٤٢) روى قصته ابن حجر في الإصابة (١/ ٥١٦)، وابن طولون في إعلام السائلين، ص ص ٩٩ ـ ١٠١، وكلاهما من حديث الشعبي. وجاء خبره في مسند أحمد (٥/ ٥٨٥). وقال ابن حجر في الإصابة (١/ ٥١٦): «وروى حديثه ابن أبي شيبة، وقال: قال ابن السكن: إسناد حديثه صالح».

عمرو بن أمية الضمري[٤٣]. فكتب إليه مسيلمة جوابا على كتابه، ونصه «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله: سلام عليك. أمابعد: فإني أشركت معك في الأمر، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون[٤٤].

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب، فعندما قرىء عليه قال لهما: «فما تقولان أنتما؟» قالا: «نقول كما قال»، فقال عليه السلام: «أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»[٤٥].

ثم كتب إليه الرسول ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[٤٦].

ثم كان ماكان من أمر مسيلمة وفتنته في عهد أبي بكر الصديق وقضاء أبي بكر عليهما بعد خسارة فادحة في الأرواح بين الطرفين.

١٢ ـ وكتب الرسول ﷺ كتابا إلى عظيم بُصْرَى وأرسله مع الحارث بن عُمَير الأزدي. فعرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني بمؤتة، فأوثقه رباطا، ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره[٤٧].

١٣ ـ وكتب النبي ﷺ إلى بكر بن وائل[٤٨].

١٤ ـ وكتب إلى بني عمرو من حمير، يدعوهم إلى الإسلام[٤٩].

١٥ ـ وكتب إلى جَبَلة بن الأيْهم ملك غسان، يدعوه إلى الإسلام[٥٠].

---

(٤٣) ابن سعد (١/ ٢٧٣)، من رواية شيخه الواقدي فالرواية ضعيفة لأن الواقدي متروك.

(٤٤) ابن هشام (٤/ ٣٢٩/ معلقا) والمعلق من أقسام الضعيف.

(٤٥) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٧)، وأبوداود في سننه. برقم (٢٧٦١) وإسناده صحيح كما في حاشية زاد المعاد (٣/ ٦١١)، وابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٤/ ٣٢٩). والمنقطع من أقسام الضعيف.

(٤٦) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع لأنه أبهم اسم الشيخ الأشجعي الذي حدثه ـ ابن هشام (٤/ ٣٢٩) ـ والآية: ١٢٨ من سورة الأعراف (والمنقطع ضعيف كما قلنا).

(٤٧) الواقدي (٢/ ٧٥٥ ـ ٧٥٦).

(٤٨) رواه ابن حبان في صحيحه ـ الموارد ـ برقم (١٦٢٦) بسنده إلى أنس (رضي الله عنه)، وانظر: إعلام السائلين لابن طولون، ص١٣٢، ونصب الراية للزيلعي (٤/ ٤١٩).

(٤٩) ابن سعد (١/ ٢٦٥) من رواية الواقدي.

(٥٠) المصدر والمكان نفساهما.

١٦ ـ وبعث رسول الله ﷺ جرير بن عبدالله البجلي بكتابه إلى ذي الكلاع ابن ناكور وإلى ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما، وأسلمت امرأة ذي الكلاع[٥١].

١٧ ـ وكتب الى معدي كرب بن أبرهة، وأن له ما أسلم عليه من أرض خولان[٥٢].

١٨ ـ وكتب إلى أسقف بني الحارث بن كعب وأساقفه نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم[٥٣].

١٩ ـ وكتب إلى يحنة بن روبة صاحب أيلة[٥٤].

٢٠ ـ وإلى أبي ظبيان الأزدي من غامد، فأجابه في نفر من قومه بمكة[٥٥].

٢١ ـ وإلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كُلال من حمير. وبعث الكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي[٥٦].

٢٢ ـ والى نُفَاثَة بن فَروة الدئلي ملك السماوة[٥٧].

وكتب إلى غير هؤلاء ممن ذكرهم ابن سعد في طبقاته وغيره من المؤرخين.

المبحث العاشر: فوائد وحكم وعبر في هذا المقطع من السيرة:

١ ـ تؤكد هذه الرسائل على حقيقة معلومة ذكرناها في أول هذا الفصل، وهي أن الإسلام دين عالمي، لذا كان واجب الرسول ﷺ إبلاغ الدعوة إلى كل من يعرف من الناس وبكل الوسائل المتاحة في ذلك الزمان.

٢ ـ إن رفض بعض الحكام لدعوة الإسلام نابع من حبهم لسلطتهم وتكبرهم وتجبرهم وليس لعدم قناعتهم بالإسلام.

---

(٥١) المصدر نفسه، ص ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
(٥٤) المصدر نفسه، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.
(٥٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٢، من حديث الزهري.
(٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

٣ ـ دل اتخاذ الرسول ﷺ خاتما من فضة يختم به رسائله على مشروعية اتخاذ الخاتم، كما دل على مشروعية نقش اسم صاحبه عليه. وقد استدل كثير من العلماء بذلك على استحباب وضع خاتم من فضة في الأصبع التي كان الرسول ﷺ يضع خاتمه فيها، وهي أصبع الخنصر.

٤ ـ إن جعله ﷺ اسم الله أعلى في الخاتم واسمه الأدنى، فيه من تعظيم الله وإعظام اسمه ما لا يقادر قدره.

٥ ـ إن إقراره ﷺ لمن كتب إليهم بأن يبقوا على ملكهم نابع من سياسته الرشيدة وتدبيره الحسن للأمور.